حادثة أتريب في التصوير العثماني
من خلال مخطوط محفوظ بالدار البطريركيه بالقاهرة[١]

د . أسماء حسين عبد الرحيم*

ساهمت المعجزات التي تؤمن بها الكنيسة المصرية في تشكيل بعض خصائص التصوير في العصر العثماني ، حيث اهتم المصور المسيحي في هذا العصر اهتماما بالغا بتزويق العديد من المخطوطات الدينية التي تحوى كثيرا من معجزات السيد المسيح عليه السلام والسيدة العذراء وأنبياء العهد القديم ، بالإضافة إلى معجزات القديسين كما يؤمن بها بدافع تفسير العقيدة وايضاحها بشكل يسير .

وتعد حادثة أتريب أحد هذه المعجزات أوالحوادث الشهيرة في تاريخ ووعي الكنيسة المصرية التي تنسب للسيدة العذراء قوى خارقة تحتفي بها الكنيسة عبر العصور بسبب مادتها الملهبة للمشاعر وأحداثها المثيرة للخيال.

وترتبط هذه الحادثة كما يتضح من اسمها بمدينة أتريب ، تلك المدينة التي اشتهرت منذ العصور الفرعونية حتى عصر أسرة محمد علي . وقبل الإشارة إلى هذه الحادثة يجدر بنا التعريف بمدينة أتريب التي تنسب لها هذه القصة .

موقع مدينة أتريب [٢]

تقع هذه المدينة على فرع دمياط ،على بعد حوالي ٣كم شمال شرق مدينة بنها عاصمة محافظة القليوبية ، وإن أصبحت الآن بعد الزحف العمراني من مجاوراتها ربما جزءا من المدينة نفسها من الناحية الشمالية الشرقية.[٣]

١- تحتفظ الدار البطريركية بالمخطوط الذي يحوى هذه الحادثة وهو مخطوط ميامر العذراء وعجائبها تحت رقم (تاريخ ٣٤) .سميكة (مرقص) ، فهارس المخطوطات القبطية والعربية الموجودة بالمتحف القبطي والدار البطريركية وأهم كنائس القاهرة والاسكندريه وأديرة القطر المصري ، الجزء الثاني ، المجلد الأول ، ١٩٤٢، ص٢٨٨.

والميمر كلمة سريانية تعني مقالة أو خطبة قصيرة دينية ، وهي منظومة شعرية مطولة لا لازمه فيها ، ولا تنقسم إلى أبيات ، كانت تقرأ سابقا على الشعب في الكنيسة لدفع الملل عنه في الصلوات الطويلة في الأعياد والأصوام . أثناسيوس (راهب) ، معجم المصطلحات الكنسية، دارنوبار ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م ، الجزء الثالث . ص ٢٥٩ .

*مدرس بقسم الآثار الإسلامية . كلية الآثار . جامعة القاهرة

٢- توجد مدينة أخرى في مصر تدعى أتريب ، وتقع في الجنوب الغربي لمدينة سوهاج ، على بعد ٦كم منها . رمزي (محمد) ، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م ، ص١١.

٣السعدي(حسن محمد محيي الدين)،حكام الأقاليم في مصر الفرعونية،دار المعرفة الجامعية،٢٠٠٣م،ص ٧٣

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معنى كلمة أتريب وتاريخ المدينة:

كانت مصر السفلى في العصور الفرعونية مقسمة إلى عشرين إقليم ، وكان يطلق على الإقليم العاشر من أقاليمها (hwt- Hr – ib) أما عاصمته فقد عرفت في النصوص القديمة باسم (حت – حرب – ايب) أي مقر الوسط ، أو القصر الذي في الوسط ، ثم اشتق الآشوريين خلال فترة حكمهم لمصر في أواخر العصور الفرعونية إسم هاتريب " خات حي ري بي " ليدل عليها[٤]. أما في الأوساط العلمية فيطلق عليها اسم " أتريبس " وهو الاسم الذي كان يطلقه عليها البطالمة والرومان خلال فترة حكمهم لمصر[٥] ، وهو مشتق من إسمها في القبطية أتريبي وأصبحت في العربية أتريب ، وأضيفت إليها الكلمة العربية الدالة على الموقع الأثري " تل "[٦] .

وتشير النصوص التاريخية إلى أن أقدم تاريخ لأتريب يرجع للأسرة الرابعة الفرعونية، على الرغم من أن أقدم بقايا أثرية عثر عليها بالفعل بها ترجع لعهد الملك أحمس الأول أول ملوك الأسرة الثامنة عشر ، على أن أهم آثار المدينة من مساكن ومعابد وجبانة ترجع إلى العصر اليوناني والروماني[٧]، حيث كان لها أهمية كبيرة في هذين العصرين[٨] .

أما عن العصر الإسلامي فيذكر التاريخ أن مدينة أتريب كادت تتعرض في نهاية العصر الأموي للتدمير،حيث تذكر المصادر أن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية قد هم بإحراقها حين وصل إلى جهتها فنجاها الله من تلك المصيبة بمهربه منها إلى وسط مصر[٩] .

وبالرغم من أن مدينة أتريب كانت في أوائل الفتح الإسلامي امتدادا للنظام الروماني، حيث كانت عاصمة لمنطقة إدارية واسعة ، إذا بها توصف في كتاب " وصف مصر "

٤- السعدي (حسن محمد محيي الدين) ، حكام الأقاليم ، ص ص ٧٢ ، ٧٣ .

٥- نصحي (ابراهيم) ، تاريخ مصر في عصر البطالمة ،مكتبة الانجلو المصرية.الطبعة الرابعة ١٩٧٦م. الجزء الثاني،ص٣٨٣

٦ - السعدي (حسن محمد محيي الدين) ، حكام الأقاليم، ص ٧٣

٧- من بين ما عثر عليه في النصف الأول من القرن الماضي في أتريب خبيئة تضم كنزا من الفضة يزن حوالي ٥٠كجم عبارة عن قوالب وتمائم وحلى تؤرخ للأسرات من ٢٥إلى ٣٠ ، كذلك كشف بطريق الصدفة عن مقبرة الملكة " تاخوت " زوجة الملك بسمتك الثاني "أسرة ٢٦" ومقابر لسيدات من العصر المتأخر ، ولاتزال المنطقة تحتفظ ببعض الحمامات الرومانية العامة . نور الدين (عبد الحليم) ، مواقع ومتاحف الآثار المصرية ، ٢٠٠٧ م ، ص ص ٢٣ ، ٢٤ .

٨- عبد الجليل (عمر صابر) ، تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي (رؤية قبطية للفتح الإسلامي) عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٣ ، ص١٧٤ . عطا (زبيده محمد) ، قبطي في عصر مسيحي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، الطبعة الأولى ،٢٠٠٣ م ، ص ١٨٥ .

٩- مبارك (علي باشا) ،الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، الجزء الثامن ، الطبعة الثانية ، ص ٩٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للحملة الفرنسية بانـــها قرية تابعـــة لـــمديرية الشرقية ، وأنها تقع على حافة تلال واسعة لقرية أثرية تحمل ذات الإسم كانت في الماضي إحـــدى المـــدن المقدســـة فـــي العصور القديمة[١٠] . وهكذا أصبحت قرية عادية ، وقد حدث هذا التدهور لمدينة أتريـــب القديمة خـــلال عصري المماليك والعثمانيين حيث ظهرت معالمه في تناقص أراضي تل أتريب ،ففي القاموس الجغرافي نقلا عن الانتصار والتحفة أن وحدة أتريب الماليـــة كمـــا وردت في دفاتر الأموال في الوثائق القديمة بلغت ٧٥٨ فدان[١١] ثم ورد بعـــد ذلـــك فـــي الخطط التوفيقية أن مساحة هذه التلال فـــترة حـــكم محمد علي باشا وأســـرته حتـــى عام ١٨٨٦ يقترب من ٣٠٠ فدان[١٢]،ثم تناقص هذا القدر عـــام ١٩٠٠م إلـــى حـــوالي ٢٠٠فدان فقط[١٣] .

أتريب في كتب المؤرخين :

أشار كثير من كبار المؤرخين في العصور الوسطى إلى مدينة أتريب ،ومـــنهم علـــى سبيل المثال لا الحصر ياقوت الحموي الذي ذكر أن منشئها هو أتريب بن قفطيم ابـــن مصر بن حام بن نوح عليه السلام[١٤]، كما أكد القلقشنـــدي على هذا النـــسب أيـــضا[١٥] وشاركهما المقريزي الرأي في خططه العتيقة حيث ذكر أن منشئ هـــذه المدينـــة هـــو أتريب بن قفطيم أحد أحفاد سيدنا نوح عليه السلام[١٦] .

أما ابن زنبل الرمال فقد ذكر أن الملك أتريب الذي تنسب إليـــه هـــذه المدينـــة فـــي المصادر العربية قد عاش ملـــكا ثلاثمائة وستين عاما[١٧] ، كما تحدث أبو المكارم عنـــه أيضا وذكر أنه بنى مدينة عين شمس[١٨] .

---

١٠ - موسوعة وصف مصر (دراسات عن المدن والأقاليم المصرية) ترجمة زهيـــر الـــشايب ، الجزء الثالث ، ص ١٣٨ .

١١ - رمزي (محمد) ، القاموس الجغرافي ، ص ١٨ .

١٢ - مبارك (علي باشا) ، الخطط التوفيقية ، الجزء الثامن ، ص ١٠٠ .

١٣- رمزي (محمد) ، القاموس الجغرافي ، الجزء الأول ، ص١٨ .

١٤- الحموي (الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦هـــ) ، معجـــم البلدان، تصحيح الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي ، الطبعة الأولى ، ١٩٠٦م ، المجلـــد الأول ، ص ص ١٠١، ١٠٢ .

١٥- القلقشندي (الشيخ أبي العباس أحمد) صبح الأعشى ، تقديم:فوزي محمد أمين،الهيئة المـــصرية العامة لقصور الثقافة،طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية،الجزء الثالث،ص ٣٨٥ .

١٦- المقريزي (الإمام العالم تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بـــن محمـــد (ت ٨٤٥ هـــ) مكتبة الآداب،الجزء الأول، ص ٢٨٤

١٧- ابن زنبل (الشيخ أحمد بن علي) ، قانون الدنيا وعجائبها ، مخطوط بدار الكتـــب المـــصرية تحت رقم ط ٧١٣٥ (مخطوط غير منشور) ، ص ٢٢٢ .

١٨-أبو المكارم، تاريخ الكنائس والأديرة في القرن ١٢بالوجه البحري، إعداد الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر وتوابعها ١٩٩٩م ، ص٣٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا عن نسب مدينة أتريب وسبب تسميتها كما أوردها المؤرخون ، ويتضح من هذه الروايات الخيالية مدى تأثر الرواة بالأنساب العربية ، ذلك أن عدم القدرة على معرفة أسباب تسميات المدن المصرية القديمة جعل الخيال يجنح إلى تصور أن هذه المدن قد اكتسبت أسماءها من أبناء سيدنا نوح عليه السلام[١٩].

أما عن وصف مدينة أتريب في كتابات المؤرخين فيذكرها الشابستي ضمن مدن مصر الشهيرة بالسحر حيث يقول : يقال أن مدائن السحرة من ديار مصر سبع هي أرمنت ، وببا ، و بوصير ، وأنصنا ، وصان، وصا،وأتريب ، وأنه كان بها دير للعذراء يعرف بدير مريم على شط النيل بقرب بنها وعيده في حادي عشر بؤونه[٢٠].

ويصف القلقشندي أتريب بأنها مدينة خراب بالقرب من بنها العسل من أعمال الشرقية[٢١]،بينما يصفها المقريزي في خططه بقوله أن طولها اثنى عشر ميلا ولها اثنى عشر بابا ،وجعل في شارعها الأعظم ثلاثة قباب عالية على أعمدة بعضها فوق بعض، وأنه كان في كل ناحية منها ملعبا ومجالس ومتنزهات ، وأن على كل باب من أبوابها أعجوبة من تماثيل وأصنام متحركة[٢٢] .

كما ذكر في رسالته عن قبائل العرب أن أتريب من ضمن المدن التي استوطنها العرب ، وأن طول الباقي من آثار هذه المدينة ستمائة تؤازرة ، وعرضها أربعمائة تؤازرة ، والتؤازرة متران[٢٣] .

بينما يصف علي باشا مبارك في خططه مدينة أتريب بقوله: والآن لم يبق من أطلال أتريب البحرية إلا القليل، ونقلت الأهالي ما يصلح لتسبيخ الأرض من تلولها ، ومساحة محلها قريبة من ثلاثمائة فدان ،وفي نهايتها البحرية من جهة النيل بني المرحوم عباس باشا في هذا القرن الثالث عشر قصرا وزرع الأرض التي بينه وبين بحر مويس أشجارا ، ثم آلت من بعده بالشراء الشرعي إلى ورثة المرحوم سعيد باشا ومدرسة بنها في جزء منها[٢٤] .

١٩- منير (عمرو عبد العزيز) الأساطير المتعلقة بمصر في كتابات المؤرخين المسلمين ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الأولى ،٢٠٠٨ ، ص ١٦١ .

٢٠- الشابستي (أبو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ) الديارات ، تحقيق كوركيس عواد . بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٥١م ، ص ٢٣٨

٢١- القلقشندي ، صبح الأعشى ، الجزء الثالث ، ص ٣٨٦ .

٢٢- المقريزي ، الخطط ، الجزء الأول ، ص ٢٨٤ .

٢٣- مبارك (علي باشا) ، الخطط التوفيقية ، الجزء الثامن ، ص ٩٧ .

٢٤- مبارك (علي باشا) الخطط التوفيقية ، الجزء الثامن ، ص ١٠٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حادثة أتريب : وردت هذه القصة في كتاب ميامر العذراء وعجائبها[٢٥] ، وتدور أحداثها التي يرويها بالطبع راوي مسيحي في العصر العباسي ، وعلى وجه

٢٥- لم يتحدث الإنجيل عن ظهورات السيدة العذراء وأعاجيبها، بل تحدث عنها باعتبارها أم للسيد المسيح عليه السلام، ويلاحظ أن الفكر البروتستانتي يتمتع بحرية كبيرة في هذا الشأن ، فالكتاب المقدس هو مصدره الأوحد ، والسيد المسيح هو محور تفكيره ، لذلك يبدو هامشيا في نظره كل ما يقال عن السيدة مريم ، بل أنه ينتقد الكاثوليكيين والأرثوذوكسيين متهما إياهم بالمغالاة والتطرف في إكرام العذراء ، حيث يخشى أن ينقص الإكرام المؤدي للعذراء من الاهتمام بالسيد المسيح ، بينما يرى الكاثوليك والأرثوذكس أن اكرامهم للعذراء لا يقود إلى التنقيص من أهمية المسيح ، وإنما يستند أساسا إلى كونها أم للسيد المسيح ، بسترلس (المطران كيرلس سليم) ، مريم العذراء ،الفصل الرابع.
أما عن كتاب ميامر العذراء فيذكر أنه مجمع من عدة كتب قديمة العهد ، ومن أقوال آباء الكنيسة الأرثوذوكسية ، والكتاب يتضمن أربعة عشر ميمر للسيدة العذراء مقسمة كالتالي:
الميمر الأول : ميلاد السيدة العذراء ، وضعه القديس الأنبا افرام السرياني .
الميمر الثاني : دخول السيدة العذراء الهيكل ، وضعه القديس أنبا كيرلس أسقف أورشليم .
الميمر الثالث : تسليم مريم العذراء ليوسف النجار خطيبها ، وبشارة الملاك لها، وميلاد السيد المسيح (مأخوذ عن نسخة عثر عليها في الدير المحرق بأسيوط) .
الميمر الرابع : مجئ السيد المسيح إلى أرض مصر مع العائلة المقدسة (السيدة العذراء ويوسف النجار وسالومي)، وضعه القديس أنبا زخارياس أسقف سخا .
الميمر الخامس :حلول السيدة العذراء بجبل قسقام ، وضعه القديس أنبا ثاؤفيلس بطريرك الأسكندرية.
الميمر السادس : حلول السيدة العذراء والسيد المسيح بجبل القوصية المعروف الآن بالدير المحرق ، وضعه القديس أنبا قرياقوص أسقف البهنسا .
الميمر السابع : حلول السيدة العذراء والسيد المسيح بالدير المقدس الذي يطلق عليه الآن "بباي أيسوس" ومعناها بيت يسوع وهو في مدينة البهنسا ، وضعه أسقفها أنبا قرياقوس .
الميمر الثامن : بكاء السيدة العذراء على قبر ابنها الحبيب ، وضعه قراقوس أسقف البهنسا.
الميمر التاسع : قصة القديس متياس وأعجوبة حل الحديد ، وضعه القديس كيرلس أسقف أورشليم .
الميمر العاشر : تكريس كنيسة السيدة العذراء بمدينة فيلبيايس ، وضعه القديس أنبا باسيليوس الكبير أسقف قيسارية كبادوكية .
الميمر الحادي عشر : نياحة السيدة العذراء ، وضعه القديس أنبا كيرلس بطريرك الاسكندرية .
الميمر الثاني عشر : صعود جسد السيدة العذراء ، وضعه القديس الأنبا كيرلس بطريرك الاسكندرية.
الميمر الثالث عشر : أيقونة السيدة العذراء صيد نايا بلبنان (حاليا سوريا) ، وضعه القديس الأنبا كيرلس أسقف أورشليم .
الميمر الرابع عشر : الأعجوبة التي صنعتها السيدة العذراء بكنيستها في أتريب (قرب بنها) ولم يذكر من وضعه. وفي نهاية الكتاب مختصر بتاريخ السيد والعذراء كتبه جرجس فيلوثاؤس ، المصري (أيريس حبيب) ، قصة الكنيسة القبطية ، طبعة ١٩٩٨م ، مكتبة كنيسة مارجرجس باسبورتنج ، الجزء الخامس ، ص ص٦٠ : ٦٢ .
وقد ذكرت في حاشية كتابها النسخة المنقول منها ماأوردته محفوظة في المكتبة الخاصة بالكتب الشرقية التابعة للمتحف البريطاني. و مسجلة تحت رقم : 1403eg

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التحديد في عهد هارون الرشيد[٢٦] وتحكي القصة أنه في زمان الرشيد حكم مصر والي ظالم اضطهد المسيحيين وأذاقهم العذاب وأمر بهدم الكنائس ، فذهب مع أعوانه لكل مكان ومعهم أوامر من الخليفة بهدم كل كنيسة في طريقهم ، واستمروا على هذا الحال ينتقلون من مدينة لأخرى حتى وصلوا إلى مدينة أتريب الواقعة شرقي بنها العسل ، فنزل بها ونصبوا له الخيام ليستريح ، وكان بالمدينة كنيسة على إسم السيدة العذراء مرتمريم[٢٧] لها كما تذكر الرواية أربعة أبواب في داخلها اسطوانات بين كل اسطوانة وأخرى أربعون ذراعا ، كما كان بها مائة وستون عمود رخام أبيض والأرض مفروشة بالرخام الملون، وكانت الأسكنة والأمبل[٢٨] مرصعة بالذهب والفضة ، وكان فيها أربعة وعشرون هيكلا منقوشا وأيقونة[٢٩] للسيدة العذراء موضوعة داخل مقصورة مصنوعة من العاج والأبنوس ومرصعة بالجواهر والفصوص الثمينة وعليها قطعة حرير قسطنطيني منسوج عليها صورة السيدة

٢٦- هو هارون الرشيد بن محمد المهدي ، وأمه أم الهادي ، ولد بالري سنة ١٤٥ ، ولما شب كان أبوه يرشحه للخلافة ،فولاه مهام الأمور وجعله أمير الصائفة سنة ١٦٣ هـ ، وفي سنة ١٦٤هـ ولاه المغرب كله ، وفي سنة ١٦٦هـ جعله ولي عهده بعد الهادي ، وفي سنة ١٦٩هـ وهي السنة التي توفى فيها المهدي أراد أن يقدمه على الهادي لما ظهر من شجاعته وعلو شأنه، فحالت منية المهدي دون ذلك ، وقد بويع الرشيد بالخلافة يوم أن مات أخوه الهادي في ١٤ربيع الأول سنة١٧٠هـ (١٤سبتمبر ٧٨٦م)وعمره ٢٥ سنة ، ولم يزل خليفة إلى أن توفى في ثالث جمادي الآخر سنة ١٩٤ هـ (٢٤مارس ٨٠٨م) فكانت مدة حكمه ٢٣سنة وشهرين و ١٨يوم، إذ توفى وعمره ٤٨سنة ، الخضيري بك (الشيخ محمد) ، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) ، الطبعة الرابعة ، ١٩٣٤م ، ص ١٠٢ .

٢٧- كنيسة السيدة العذراء في أتريب : هي ثاني كنيسة أنشئت وكرزت في مصر، وكان يذهب إليها في كل عام بطريرك الاسكندرية ومعه جماعة كبيرة من أقباط مصر للتبرك بها والقربان فيها ٢١بؤونه ، وهي كنيسة كبيرة واسعة جدا حولها سور دائر بباب كبير ، وقد تحدث الشابستي عن أوقاف هذه الكنيسة وما يليها ، وذكر أنها ٢١ فدان تفصيلها : البيعة (الكنيسة) ٧فدان ، قلاية السقف ٧ فدادين ، كروم و خضر وأنشاب ٧فدادين . الشابستي ، الديارات ، ص ١٣٩ ، وهي من الكنائس المندثرة.

٢٨- الأمبل : يقابل المنبر في المسجد ، ويعتبر بعض العلماء أن المنبر قد اشتق أساسا من المنابر المسيحية الأولى قبل الإسلام ، وللأمبل نوعين : الأول ويتميز بوجود مقصورة مستقيمة الجوانب ملحقة به ممتدة من الشرق ،والثاني هو الصغير المعتاد . شيحه (مصطفى عبد الله) ، الفن القبطي ٢٠٠١ ، ص ص١٠٢ ،١٠١ .

Kiko بمعنى أنا أشبه أو أماثل، ومعناه الصورة والإسمEikon أو الأيقونه

٢٩-اشتقت كلمة أيقونة من الفعل اليوناني القديم طرخان (إبراهيم) الحركة اللا أيقونيه في الدولة البيزنطية ،القاهرة ١٩٥٦م ، ص ٦ . والأيقونات هي صور دينية مرسومة على لوحات خشبية للسيد المسيح والسيدة العذراء والقديسيين ، بالإضافة لموضوعات دينية مسيحية من العهد القديم والجديد.

KamiL (J .) ,Coptic Egypt , History and Gide, The American University in Cairo, 1986, p 77

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العذراء ، وكان لهذه الكنيسة رئيس يدعى القس يوحنا تذكر الرواية عنه أنه كان مباركا مواظبا على الصلاة ورفع القرابين ، فلما بلغ القسيس المذكور وأهل البيعة[٣٠] خبر الأمير وما حضر لأجله حزنوا كثيرا، فتقوى رئيسهم كما تذكر الرواية بالروح القدس ، ثم مضى نحو الأمير وتقدم الى خيمته وقال : مولاي الأمير سمعت أنك حضرت لهدم الكنائس ، وأنا أقصد فضلك أن تتفضل وتنظر هذه الكنيسة قبل أن تأمر بهدمها، لأنها أول كنيسة بنيت على إسم السيدة العذراء في ديار مصر ، فقال جليس الأمير إن كلام هذا الراهب فيه معنى ، ولا بأس أن تقوم وتنظر هذه الكنيسة على سبيل التنزه ، فقام الأمير وجليسه والقسيس يتقدمهما إلى الكنيسة ، فلما أبصرها تعجب من حسن منظرها وزخارفها ، وقال أن هذه كنيسة عظيمة جدا، ولكن أمرنا بشئ لا نقدر على مخالفته البتة ، فقال القسيس: أريد منك أن تمهلني بإبقاء الكنيسة ثلاث أيام ولك في كل يوم مائة دينار ، فإذا لم تصلك مكاتبة من الخليفة فافعل بها ماشئت ، فلما سمع الأمير كلام القسيس ضحك وقال:أن بيننا وبين مدينة بغداد شهرين ذهابا وشهرين إيابا ، فتكون المدة ٤ أشهر فما تقوله لا يصدقه عاقل ، فأجابه الجليس ما علينا سيدي الأمير أن وافقناه على طلبه فنأخذ منه الثلاثمائة دينار، مع علمنا بإن ما قاله لا يتم البتة لابتعاد المسافة بعدا شاسعا، وبذلك نكون قد أرضيناه من جهة وانتفعنا بالمال من جهة أخرى ، فوافق الأمير على ذلك ، ثم دخل القسيس الكنيسة ، وأغلق عليه أبوابها وتقوى بالروح القدس – حسب الرواية - وانتصب للصلاة أمام أيقونة السيدة العذراء وتحدث إليها قائلا: يا سيدتي يا مرتمريم ، هذا وقت شفاعتك وإظهار عجائبك لا تتخلي عن كنيستك ، ولم يزل القس يوحنا مواظبا على الصلاة واقفا على قدميه صائما لم يذق شيئا إلى ثلاثة ليالي ، فنظر الرب إلى قوة إيمانه ولم يخيب طلبه .

وتذكر الرواية بعد ذلك أن الأمير كان في تلك الليلة نائما، فانتبه قرب الصباح وجلس وأمر بإيقاد شمعة، ولم يشعر إلا وطائرا أبيض قد رمى بطاقة في حجره وغاب لوقته، فتحير كثيرا وأخذ البطاقة وفتحها وتأملها فإذا هي بخط الخليفة مؤرخة في تلك الساعة عينها وقد كتب بها (نعلم الأمير الأجل أن ساعة وصول هذه البطاقه إليك تبادر بالحضور إلينا بسرعة بدون تأخير ، والحذر ثم الحذر من أن تتعرض للكنيسة التي بمدينة أتريب أو بقية الكنائس التي سبق أن أمرناك بهدمها) ، فتعجب الأمير واستدعى القس وسأله عما حدث ، فأخبره ما كان من قصة الأيقونة فقام الأمير مع القس ودخل الكنيسة وتشفع للسيدة العذراء بحسب الرواية كي تحرسه ودفع للقس

٣٠- البيعة : يطلق المسيحيون على الكنيسة اسم بيعة باعتبار أن المسيح ابتاعهم –أي اشتراهم – فيها بدمه الثمين . عبد المسيح (بيشوي) ، دراسة لعقائد الكنيسة الأرثوذكسية ، ص٩٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المال المأخوذ منه وزاده مائة دينار من ماله الخاص إكراما للسيدة العذراء ، ومضى قاصدا بغداد ووصل للخليفة الذي سأله قائلا : هل وصلت إليك بطاقتنا ؟ قال نعم، فسأله صحبة من ؟ قال مع طائر أبيض في تاريخ تحريرها يا مولاي ، غير أني يا مولاي أود أن تقصني حقيقة الحال ، فقال له الخليفة: أني قبل أن أكتب تلك البطاقة كنت نائما فرأيت نورا عظيما فتخيل لي شبه شخص من نور، وقال لي ألا تعلم أن سبب ذلك كله هو مجئ العذراء ، ثم جاء صوت من قبلها يقول من أذن لك أن تعتدي على كنيستي في أتريب وبقية البيع الكائنة بالديار المصرية وتأمر بهدمها؟ فأجبت أني أجهل ما أفعل ، فأجابني الصوت : قم واكتب كتابا إلى الأمير في مصر أن يبقى كنيستي التي في مدينة أتريب وبقية كنائس المسيحيين ، وإلا ينالك شديد الضرر ،فأجبتها بقولي : وإذا كتبت للأمير مكتوبا من الذي يوصله والمسافة بعيدة جدا ،فقالت أكتبه وأنا عندي من يمضي به إليه ، فكتبت تلك البطاقة التي رأيتها، وبعد ختمها رأيت طائرا أبيض اختطفها مني ، وإني أسأل الله أيها الأمير أن تساعدني في بناء كنيسة لها بجانب قصري ليصلي فيها النصارى أيام أعيادها ، وتذكر الرواية أن ما طلبه الخليفة قد تم ، وأن هذه الكنيسة قد ظهر فيها عجائب وآيات كثيرة[٣١] .

التعريف بالمخطوط :

تحتفظ الدار البطريركية بالقاهرة بمخطوط ميامر العذراء وعجائبها تحت رقم (تاريخ ٣٤) ويبتدئ هذا المخطوط بأعجوبة ظهرت في أيام هارون الرشيد ، وقد كتب هذا المخطوط الناقص باللغه العربية ، وبالمخطوط نسخ من كراسة مطبوعة عبارة عن تحذير لمن يقرأ هذه العجائب أو يطبعها لأن بها تعاليم كاثوليكية[٣٢] وقد وقفه أنبا أثناسيوس على كنيسة العذراء بناحية منية الصرد[٣٣] والمخطوط غير مؤرخ ، ويحتوي

---

٣١ – الأنبا شنوده الثالث بطريرك الكرازة المرقصية : اللآلئ السنية في الميامر والعجائب المريمية ص ص ١٦٨:١٧٥ . ويلاحظ أن هذا الكتاب قد أورد القصة منسوبة للخليفة العباسي المأمون ابن الخليفة هارون الرشيد،بينما ذكر المخطوط بالدار البطريركيه أن الخليفة كان هارون الرشيد ، ويبدو أن هناك نسخ من المخطوط قد نسبت الحادثة للرشيد بينما نسبتها الأخرى إلى الخليفة المأمون .

٣٢- كثيرا ما ترد في افتتاحيات وخواتيم المخطوطات المسيحية تحذيرات من القراءة أو التعدي ، محمود (أسماء حسين عبد الرحيم) مدرسة التصوير في مصر في العهد العثماني من خلال تصاوير المخطوطات ، لوحات أرقام ١٥٨، ٢٣٧ .

٣٣- منية صرد : وردت في تحفة الإرشاد في كورة المنوفية ، رمزي (محمد) ، القاموس الجغرافي ، ص٤٤٣ . ويذكر المقريزي عن حي منية صرد أنه من ضواحي القاهرة ، وأن به كنيسة للسيدة مريم وهي جليلة عندهم . المقريزي : الخطط ، الجزء الرابع ، ص ٤٣٧ .

ومن الواضح أن كنيسة العذراء بمنية صرد قد وقفت عليها كثير من المخطوطات ، منها على سبيل المثال مخطوط الأبصلمودية الكيهكية بنهرين الذي أنجز عام ١٨٢٥م بخط الشماس حنا=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على ١٤٣ ورقة، مسطرة كل منها ما بين ١٤ إلى ١٥ سطر ، ومقاسها ٢٠ X ١٥ سم[٣٤].

الدراسة الوصفية :

الصورة الأولى : وتمثل (الأمير جالس ليستريح) (لوحة رقم ١)[٣٥]

قسمت هذه الصورة إلى قسمين ، يمثل الأول مشهدا خارجيا ويظهر في يمين الصورة، ويشاهد به خمس رجال يقفون في صف واحد وقد ارتدوا ثيابا طويلة حابكة ألوانها من اليمين إلى اليسار الأحمر والبني والأخضر الداكن والأحمر والبني ، كما ارتدوا القلانس ، وقد مثلوا بملامح متشابهة من حيث العيون اللوزية الواسعة والأنوف المستقيمة والشوارب الدقيقة باستثناء أوسطهم الذي رسم حليقا ، وقد عقدوا أيديهم أمام صدورهم في ترقب وانتظار ، ويسترعى الانتباه هنا التبادل بين ألوان الثياب .

أما المشهد الداخلي فقد مثل داخل خيمة تظهر في يسار الصورة ، ويشاهد بداخلها الأمير جالسا على كرسي متقاطع الأرجل ، ويظهر الأمير ملتفتا برأسه نحو اليمين، وقد ارتدى ثوبا حابكا أحمر اللون وعباءة تنسدل على
كتفه وأمسك في يده اليمنى سيف ، بينما لوح بيده اليسرى في الهواء نحو الأمام في وضع من يعطي أوامر لرجاله، كما يظهر متمنطقا بزنار مجدول . ويقف شخصان حليقا الوجه بملامح شابة أمام الأمير، يرتدي أحدهم ثوبا أحمر حابك ، بينما يرتدي الآخر ثوبا ذا لون أخضر وتبدو على ملامحهما علامات الترقب، ونلاحظ أن أحدهم يرتدي القلنسوة ، بينما يرتدي الآخرغطاء رأس مرتفع يشبه ما كان يرتديه الصولاق[٣٦] وهي رتبة من رتب الانكشارية[٣٧] في الجيش العثماني ، أما

=سليمان، وهو مخطوط بالدار البطريركية برقم لاهوت ٩٧ .سميكة (مرقص) ، فهارس المخطوطات ، ص ١٢٦ .

٣٤- سميكة (مرقص) ، فهارس المخطوطات ، الجزء الثاني ، المجلد الأول ، ص ٢٨٨ .

.. [35] - Attalla (N . S .) , Illustrations from Coptic Manuscripts Lenhert and Land rock . Cairo. 2000 P 223

٣٦- الصولاق : فرد من المشاة من حرس السلطان أو الأمير الذين كانوا يرافقونه أثناء السلم والحرب. الغازي (أماني بنت جعفر بن صالح) ، دور الانكشارية في اضعاف الدولة العثمانية ، دار القاهرة ، ص ٢١.

٣٧-الانكشارية : تتكون الكلمة من مقطعين الأول يكي Yeni بالنون الخيشومية بمعنى جديد وجرى Cery ، بالجيم المشوبة بمعنى العسكر ، فيأتي المعنى الكامل العسكر الجديد أي الجيش الجديد وتأتي أيضا بمعنى الجند الجدد ، وقد حرفت هذه الكلمة إلى الانكشارية في العربية . سليمان (أحمد السعيد) ، تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل ، ص ٣٦١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن الخيمة فقد حددت من الخارج بخطوط باللونين الأحمر والأخضر ، ويشاهد في منتصف الصورة علما مرفرفا تستدق رايته كلما اتجهت صوب الجهة المرفرفة منه .

وتمثل هذه الصورة الجزء الأول من حادثة أتريب حين بلغ الأمير المدينة ، وجلس ليستريح في خيمة ضربت له فيها تمهيدا لهدم كنيستها .

الصورة الثانية : (وتمثل صورة القس يوحنا في الكنيسة (قدام أيقونت) أمام أيقونة الست السيدة مرتمريم) (لوحة رقم ٢)[٣٨] تمثل هذه الصورة مشهدا داخل كنيسة أتريب التي تدور حولها القصة ، وقد اختار المصور للتعبير عنها بائكة ثلاثية العقود ترتكز على أعمدة يظهر منها عمودين ، وقد تدلى من باطن العقدين الأول والثاني مشكاتين عن طريق سلاسل معدنية ، ويقف أسفل العقد الأول أحد رجال الدين مرتديا ثوبا حابكا أحمر اللون، وقد ضم يده اليسرى إلى صدره ، ورفع اليمنى إلى أعلى في تضرع ورجاء . بينما يقف أسفل العقد الثالث القس يوحنا كاهن كنيسة أتريب مرتديا ثوبا مشابها ذو لون أخضر، وقد رفع يديه أمامه باتجاه أيقونة السيدة العذراء التي ثبتت إلى الحائط ، وتظهر في الأيقونة السيدة العذراء وهي تحمل السيد المسيح الذي يبدو في هيئة طفل رضيع ، وقد ارتدت ثوبا أخضر اللون وطرحة حمراء تنسدل من رأسها خلف أكتافها ، ويشاهد أسفل الأيقونة المذبح[٣٩] المكون من بناء مستطيل مغطى بغطاء[٤٠] مزخرف بصليب كبير يحصر بين كل ضعلين منه صليب صغير ذو لون ذهبي ، وتشاهد فوق المذبح بعض الأواني .

---

[38] - Attalla (N.S.) , Illustrations …… PL 223 .

[٣٩]- المذبح : يسمى المذبح في اللغة القبطية (ما-ان- ار- شوشي) أي موضع عمل الذبيحة ، كما يسمى في اليونانية (سوزستيرون) كما أن الترجمة العربية لها هي مذبح وهو مكان الذبح أيضا ، وقد عرف في الكتابات القبطية بأسماء أخرى مثل العرش الإلهي ، عرش الله ، المائده المقدسة. ويشيع النطق بالتعبير الأخير ، والمذبح عبارة عن بناء مكعب الشكل يشيد وسط الهيكل وغير ملتصق بأحد جدرانه ولا يتعدى طول ضلعه متر واحد ، وقد يشيد المذبح من الحجر أو الطوب الآجر أو الطوب اللبن أو الخشب ، ودائما ما يأخذ شكلا مكعبا تمثيلا لقبر السيد المسيح عليه السلام .

البرموسي (عبد المسيح صليب المسعودي) ، تحفة السائلين في ذكر أديرة المصريين ، مطبعة الشمس ، كلوت بك ، ١٩٣٢م ص ص ٢٤٥، ٢٤٦ .

[٤٠]- غطاء المذبح : يغطي المذبح بثلاثة أغطية ، أما الغطاء الأول فيصل إلى الأرض من جوانب المذبح الأربعة ، والغطاء الثاني يتدلى بحوالي ١٥ : ٢٠ سم من كل جانب ، أما الثالث فهو الإبروسفارين الذي يغطي كرس الكأس ويتدلى قليلا على الجدارين الشرقي والغربي للمذبح ، ويعد= الغطاء الأخير أهم هذه الأغطية ، وغالبا ما كان يتخذ من القطيفة الحمراء المزينة بإطار زخرفي ذهبي أو فضي حيث يتم فوقه وضع الحمل، وتفريغ الخمر المقدس في الكأس . أثناسيوس ، معجم المصطلحات الكنسية ، الجزء الثالث ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م ، ص ٢١٦ .

-Williams (V.S) , and Stoks (P.) , Blue Guide (Egypt , London . 1971) , P 77 .

-Lowrie (W.) , Christian Art and Archaeology , New york ,1901, p151 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويلفت النظر في هذه الصورة أن ثياب كلا الرجلين ملون بنفس لون العمود الذي يقف إلى جواره – ربما دلالة على خوفهم على الكنيسة من الهدم ، وتوحدهم مع أعمدتها ومبانيها ، كما نلاحظ استمرار اعتماد المصور على الألوان الأحمر والأخضر الداكن والبني الفاتح .

وتعبر الصورة عن ذلك الجزء من القصة الذي يمثل تضرع القس يوحنا كاهن كنيسة أتريب أمام أيقونة السيدة العذراء لتحمي بيعتها من الهدم .

الصورة الثالثة : وتمثل (صورة الأمير في خيمته (والطاير) والطائرحضر له بمكتوب الخليفة والمكتوب في منقاره... (وطايرا) وطائرا أبيض.. ورماه إلى الأمير) (لوحه رقم ٣)[٤١]قسمت هذه الصورة إلى مشهدين ، المشهد الأول خارجي ويظهر في يمين الصورة ، حيث يشاهد ثلاثة رجال يبدو أنهم من حراس الامير وقد وقفوا في صف واحد مرتدين ثيابا حابكة ذات ألوان بني وأحمر وأخضر على التوالي ، وقد ارتدى الرجلين على الجانبين القلنسوات ، بينما ارتدى الشخص الأوسط غطاء رأس مرتفع يمثل أحد أغطية رؤوس فرقة الانكشارية .

أما المشهد الداخلي الذي يحتل معظم الصورة فيظهر إلى اليسار بداخل خيمة، حيث يرقد الأمير على فراش مثل بهيئة سرير مغطى بمفرش ملون بالألوان الأخضر والبني والأصفر والأحمر ، ويرتدي الأمير ثوبا أخضر اللون وقد غطى نصف جسده بملاءة حمراء مزخرفة بوريدات صفراء ذات أربعة بتلات ،

وقد ارتكز الأمير بجزعه إلى جانب الخيمة ونظر إلى الأمام نحو طائر أبيض اللون يحلق باتجاهه ويقبض بين منقاريه على بطاقة تمثل خطاب الخليفة هارون الرشيد إليه، ويمد الأمير يده اليسرى باتجاه الطائر وكأنه يهم بالتقاط هذا الخطاب ، ونلاحظ وجود مشكاة تتدلى من سقف الخيمة .

وتمثل هذه الصورة مجئ الطائر من بغداد إلى أتريب في ليلة واحدة بخطاب الخليفة هارون الرشيد وذهول الأمير من هذا الحدث .

الصورة الرابعة : وتمثل (صورة الأمير يتحدث إلى القس يوحنا) (لوحة رقم ٤)[٤٢]

يظهر في هذه الصورة الأمير جالسا داخل أحد القاعات على كرسي كبير الحجم له قاعدة من خشب الخرط ،وقد ارتدى ثوبا أخضر اللون وعباءة حمراء تتسدل على أكتافه لتغطي أقدامه ، وقد أشار بيديه إلى الأمام ، بينما التفت إلى يمينه التفاتة بسيطة.

ويقف أمام الأمير القس يوحنا مرتديا ثوبا حابكا أخضر اللون وقد أحاطت برأسه هالة ، ويفصل بين الرجلين مزهرية تخرج منها زهرة ذات خمس بتلات .

---

[41]- Atalla (N.S.) Illustrations , p223 .

[42] - Atalla (N.S.) Illustrations , p223 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلى الرغم من وجود حوار بين الطرفين إلا أننا نلاحظ عدم مقدرة المصور على تمثيل هذا الحدث حيث يبدو الشخصان غير متواجهين .

ومما يلفت الانتباه هنا استمرار استخدام المصور للألوان البني والأخضر والأحمر البراق . وتعبر هذه الصورة عن استدعاء الأمير للقس لسؤاله عن الطائر والخطاب ، وكيف أن القس أخبره ما كان منه مع الأيقونة بكل ابتهاج .

الصورة الخامسة : وتمثل(اجتماع الخليفة مع الأمير في قصره ببغداد)(لوحة رقم٥)[٤٣]

تمثل هذه الصورة مشهدا داخليا ،حيث تظهر قاعة من قاعات قصر الخليفة العباسي في بغداد ، ويشاهد في يسار الصورة الخليفة هارون الرشيد جالسا على كرسي متقاطع الأرجل ، وقد ارتدى ثوبا أحمر اللون مزخرف بوريدات صفراء ذات أربعة بتلات ، بينما انسدلت عباءة خضراء داكنة على أكتافه لتحيط بالنصف السفلي من جسده ، وقد زخرفت العباءة بأنصاف المراوح النخيلية . وللخليفة وجه كبير يقترب من الاستطالة وعيون لوزية واسعة وأنف عريض ، وشارب وذقن بنية اللون ، ويظهر مرتديا غطاء رأس عبارة عن تاج ذهبي ، وقد مد يديه إلى الأمام باتجاه الأمير الذي يجلس في مواجهته على كرسي له قاعدة من خشب الخرط يلاحظ أنه أكثر انخفاضا من كرسي الخليفة ، وقد ارتدى ثوبا أخضر اللون مزخرف بأنصاف المراوح النخيلية ، وقد مثل الأمير بوجه كبير وعيون لوزية وأنف مستقيم وذقن وشارب أسود اللون وهو يشير بيده إلى الأمام . وتفصل بين الرجلين مزهرية حمراء، ويتدلى من سقف القاعة مشكاة علقت على جانبيها قناديل تتدلى بدورها عن طريق سلاسل من السقف ، كما رسمت ستارتين مطويتين في ركني الصورة الأيمن والأيسر دلالة على ثراء قصر الخليفة ، ونلاحظ هنا استمرار اعتماد المصور على اللونين الأحمر والأخضر .

وتعبر هذه الصورة عن نهاية القصة عندما وصل الأمير إلى بغداد واجتمع بهارون الرشيد وتأكد من صحة رواية القس .

الدراسة التحليلية :

أولا : الموضوع : يبدو لي أن الراوي وهو مسيحي بطبيعة الحال يناقش هنا فيما يناقش قضية الاضطهاد الذي تعرض له الأقباط في بعض العصور الإسلامية، وهدم بعض الخلفاء والولاة لبيعهم ومنعهم من ممارسة عقائدهم،وهو يشير هنا إلى العصر العباسي باعتبار أن الرواية – حادثة أتريب – قد حدثت في عهد الخليفة هارون الرشيد ، كما يبدو أنه يشير أيضا إلى التسامح الذي تمتعوا به في جزء من عهد الرشيد، وهو الأمر الذي تؤكده المصادر التاريخية .

---

43 - Atalla (N.s.) , Illustrations , p223 .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويمكننا القول بصفة عامة أن أهل الذمة قد تمتعوا بحرياتهم الدينية والاجتماعية في ذلك العصر اللهم إلا في بعض الفترات المحدودة التي تعرضوا فيها لبعض المضايقات، بينما نلاحظ أن انقلاب ولاة مصر ضد القبط وبطركهم كان يحدث في الغالب نتيجة الوشاية بهم لدى الولاة[٤٤].

والحق أن عهد هارون الرشيد قد شهد تسامحا مع النصارى[٤٥] كما شهد تشددا أيضا من قبل بعض الولاة على أقباط مصر ، ومن ولاة مصر من قبل الرشيد الذين تشددوا مع القبط وهدموا كنائسهم – والذي يبدو أن الراوي يشير إليه بشكل أو بآخر – الوالي علي بن سليمان بن على ابن عبد الله الذي اشتهر بهدم الكنائس المحدثة في مصر ، وفي ذلك يقول المقريزي أن الأقباط قد بذلوا له ليتركها خمسون ألف دينار فامتنع ، كما يذكر أنه أظهر أنه يصلح للخلافة وطمع فيها ، مما تسبب في سخط هارون الرشيد عليه وعزله سنة احدى وسبعين ومائة ، وأن موسى بن عيسى قد تولى من بعده من قبل الرشيد أيضا، فأذن للنصارى في بنيان الكنائس التي هدمها علي بن سليمان[٤٦] .

أما عن التسامح الذي شهده عهد هارون الرشيد مع النصارى والذي يشير إليه المخطوط فشواهده كثيرة ، فعلى سبيل المثال عرف هارون الرشيد بتقريب الأطباء النصارى إليه ، ففي بدء خلافته اشتكى من صداع لحقه فطلب من يحيي بن خالد بن برمك طبيبا ماهرا، فاختار له ابن بختيشوع بن جيورجيس فأرسل في طلبه وأكرمه وخلع عليه خلعه سنية وجعله رئيس الأطباء ، ومن أطباء الرشيد النصارى أيضا يوحنا بن ماسويه النصراني السرياني وابن جبريل[٤٧] .

وبصفة عامة فقد استمرت رعاية الخلفاء والولاة في العصر العباسي في مصر(١٣٢– ٢٥٤هـ/٧٥٠-٨٦٨م) للكنيسة المصرية ، وظلت حركة التجديد والتعمير مستمرة في مبانيهم الدينية ، ذلك أن هذا العصر قد شهد منذ بدايته تسامحا دينيا شمل أهل الذمة عامة، فقد توافد على الخلافة العباسية في بغداد كثيرا منهم للمشاركة في أمور الدولة الإسلامية ، ويقول عنهم جورجي زيدان أنهم خدموا العباسيين بعقولهم وأقلامهم بما آنسوه من تسامحهم وإطلاق حرية الدين لهم ، بل وصل بهم

---

[٤٤]- عامر (فاطمة مصطفى) ، تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي ،الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ٢٠٠٠م ، ص ١٥٣ .

[٤٥]- للاستزادة عن أحوال أهل الذمة في العصر العباسي إقرأ:

- قاسم (قاسم عبده) ، أهل الذمة في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر المماليك دراسة وثائقية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٣م

[٤٦]- المقريزي ، الخطط ، الجزء الأول ، ص ٩٥ .

[٤٧]- ابن العبري (العلامة اغريغوريوس الملطي ت ١٢٨٦م) ، تاريخ مختصر الدول ، دار الآفاق العربية ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ م ، ص ص ١٢٩، ١٣٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأمر إلى أن تولوا مناصب قيادية ، إذ تقلد بعضهم ديوان الجيش ، كما كان الخلفاء في صدر الدولة العباسية يكرمون الأساقفة ، فكان الخليفة الهادي على سبيل المثال(١٦٩- ١٧٠هـ/ ٧٨٥- ٧٨٦م) يستدعي الأسقف تيماثاوس في كثير من الأيام ويتناقش معه ويجادله ويناظره ويطرح عليه المشكلات حتى أصبح النصارى يهدون الخلفاء أيقونات بعض القديسين ، وكثيرا ما طلب الأساقفة وغيرهم من رجال الدين المسيحي من الخلفاء أن يثبتوهم في مناصبهم على خصومهم ومنافسيهم[٤٨]

ويذكر سعيد ابن بطريق في تاريخه أن الخليفة المأمون(١٩٨-٢١٧هـ/٨١٥-٨٣٢م) حين قدم مصر جعل على مدينة بوره[٤٩] وما حولها قبطيا فتمكن من أن يبني كثيرا من البيع (الكنائس) في المدينة وما حولها[٥٠].

وعلى النقيض من ذلك تشير بعض المصادر التاريخية إلى تشدد بعض الخلفاء العباسيين بعذ ذلك مع أهل الذمة لا سيما مع النصارى كما حدث في عهد المتوكل على الله (٢٣٣-٢٤٧هـ/ ٨٤٨- ٨٦١م) الذي أمر أهل الذمة بلبس الطيالسة العسلية وشد الزنانير وركوب السروج ، وأمر نساؤهم بلبس أزار عسلي عند خروجهم تمييزا لهم عن المسلمين ، وأمر بهدم البيع (الكنائس) وأخذ العشر من منازلهم[٥١] إلا أن ذلك لم يدم طويلا حتى هدأت الأحوال وعادت إلى ما كانت عليه من التسامح الديني[٥٢] .

ثانيا : الطائر ودلالته : أشار المخطوط إلى هذا الطائر بوصفه طائرا أبيض ثم ذكر أنه طائر الحمام ، وقد شاع استخدام الحمام في الفن المسيحي ، ويرمز إلى الروح القدس ، وقد ظهر هذا الرمز أولا في قصة عماد المسيح على يد يوحنا المعمدان[٥٣] حيث يذكر أن يوحنا شهد قائلا أني قد رأيت الروح نازلا مثل حمامة من السماء

---

[٤٨]- زيدان (جورجي) ، تاريخ التمدن الإسلامي ، ص ص ١٣٨، ١٣٩ .

[٤٩]- بوره : من المدن المصرية القديمة التي كانت مشهورة بصناعة الأقمشة ، وموقعها على فرع النيل الشرقي قرب دمياط وتعرف اليوم بكفر البطيخ حيث غلبت زراعة البطيخ على أراضيها. رمزي (محمد) ، القاموس الجغرافي ، ص ص ١٧٧، ١٧٨

[٥٠]- ابن بطريق (سعيد أفيتوس) بطريرك الاسكندرية (ت ٣٢١هـ) ، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، نشر بعنايةالأب لويس شيخو ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، لبنان ١٩٠٥ م ، الجزء الثاني ، ص ص ٥٨، ٥٩.

[٥١]- المقريزي : الخطط ، الجزء الثاني ، ص ٤٩٢.

- متى المسكين ، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار ، القاهرة ١٩٧٢م ، ص ٦٣

[٥٢]- كاشف(سيده)،مصر في فجر الإسلام،من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الطولونية، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٤٧م ، ص ص ٢١١، ٢١٢ .

[٥٣]- يوحنا المعمدان : يوحنا ابن زكريا الذي ورد ذكره في القرآن الكريم باسم يحيي ، وقد ذكر أبوه زكريا في أوائل سورة مريم، أنجبه أبواه الصالحان بعد أن تقدمت بهما السن ، وحملت به أمه=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فاستقر عليه ، كما ترمز الحمامة إلى الروح القدس في رسوم الثالوث المقدس ، وبشارة العذراء بميلاد المسيح[٥٤]، كما ارتبطت الحمامة في الفكر المسيحي بالسيدة العذراء وهو ما يظهر أثره في صور هذا المخطوط ، حيث تلقب العذراء في الكنيسة بلقب (الحمامة الحسنة) ويتذكروا في هذا الشأن الحمامة الحسنة التي حملت لنوح عليه السلام غصنا من الزيتون رمزا للسلام تحمل إليه بشرى الخلاص من مياة الطوفان .. (تك ٨: ١١) وبهذا اللقب نجد الكاهن في الكنيسة حتى الآن يبخر لأيقونتها وهو خارج من الهيكل ويقول " السلام لك أيتها العذراء مريم الحمامة الحسنة " ، وتشبه العذراء بالحمامة في الفكر المسيحي لبساطتها وطهرها ولأنها حملت بشرى الخلاص بالمسيح[٥٥] كالحمامة التي حملت بشرى الخلاص بعد الطوفان .

وتجدر الإشارة هنا إلى ماذكره الشابستي في كتابه عن الديارات من أن حمامة بيضاء تأتي كل عام في تاريخ محدد وهو ٢١ بؤونه وهو يوم الاحتفال بعيد القديسة مريم في أتريب ، وتدخل أحد الأديرة وتستقر على المذبح وتمكث في مكانها عدة أيام ثم تغادر ولا تعود إلا في ذات اليوم من العام القادم[٥٦] .

ولا يمكننا أن نغفل في هذا الصدد اعتقاد المصري القديم بأن لكل إنسان روحا يسموها "با"[٥٧] تسكن الجسد مادام حيا وتصورها على هيئة طائر برأس آدمي بعد الموت .

والمهم هنا أنهم قد طبقوا هذه النظرية على الآلهه ، فلكل إله "با" وكانوا يعتقدون أن باه الاله تسكن تمثاله الموجود بالمعبد وتتجول كذلك في أمكنة أخرى خاصة في

=اليصابات قبل بضعة شهور من حمل مريم بابنها المسيح فبينهما تقارب في المولد ، وبينهما كذلك قربى في النسب ، وقد عرف منذ صباه الباكر بالتقوى وقوة النزعة الدينية ، كان يعمد المستجيبين لدعوته في نهر الأردن ، ومن هذا التعميد اكتسب لقب المعمدان ، ويسمى أتباعه المغتسلة أو المغتسلين ، حمه (شيخ علي) ،يوحنا المعمدان ويوحنا الحواري أو الرسول ،مقال في مجلة العربي،عدد ١٦٥،سنة ١٩٧٢م .ص ص١٣٤، ١٣٥

٥٤- قادوس (عزت زكي حامد) ، الآثار القبطية والبيزيطية ، ص ١١٨ ، شكل ١٨٦ .

٥٥- البابا شنودة الثالث: تأملات في عشرة أعياد ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩م ، ص ١٢٨.

٥٦- الشابستي : تاريخ الديارات ص ١٣٩.

٥٧- عن (البا) طالع : تشرني (ياروسلاف) ، الديانة المصرية القديمة ، ترجمة : أحمد قدري ، مراجعة : محمود ماهر طه ، المجلس الأعلى للآثار ، ص١١٠:١١٥

- Erwin(R.) Jewish Symbols in the Greco– Roman Period .VOL .VIII .New York 1953.P 37 ,
- The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt . VOLI , The American Universityin Cairo. P161
P 47 . . The American University in Cairo.- British Museum dictionary of Ancient Egypt.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السماء ، هذا وتصور لنا نقوش معبد دندرة التي ترجع إلى عهد متأخر كيف كانت روح حاتحور تهبط من السماء إلى معبدها الجميل لتسعد نفسها[٥٨] .

وربما يكون الطائر هنا أحد الموضوعات التي يظهر بها تشابه جوهري بين العقيدة المسيحية والديانة المصرية القديمة ، حيث كان الفنان المسيحي دائم الخلط بين التقاليد والعادات والأساطير القديمة ، وبين العقائد والقصص الدين المسيحي[٥٩] وهو الأمر الذي لم يشكل شذوذا في الفن القبطي حيث استطاع الفنان توظيف هذه الموضوعات وصبغها بملامح قبطية تحدث نفس الانطباع النفسي القديم للمتعبد بروح قبطية ،وهو في ذلك يتشابه مع الموضوعات الوثنية الأخرى التي استخدمت كرموز مسيحية مثل الصليب والسمكة والطاووس، وجميعها رموز استخدمت في العقيدة المسيحية في فترة ما قبل الاعتراف بها[٦٠]

ثالثا : الخصائص الفنية لصور المخطوط :

يظهر في صور هذا المخطوط التي تمثل حادثة أتريب أساليب فنية متعددة يمكن الإشارة إليها على النحو التالي:

١ - الأساليب العربية : يظهر أثر أساليب المدرسة العربية في تكوين الصور التي تتجلى فيها البساطة وعدم التعقيد[٦١] في إغفال تعيين المقدمة (لوحات أرقام ١ ، ٣) وعدم رسم خلفيات معمارية أو نباتية للصور التي تمثل مشاهد خارجية (لوحات رقم ١ ، ٣) كما يشاهد هذا الأسلوب في رسم أطر بسيطة للصورة (لوحات أرقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥)،وفي التعبير عن العمائر بأقل عدد من العناصر(لوحات أرقام، ٤).

ويشاهد الأسلوب العربي أيضا في استخدام الأزياء العربية كالثياب الطويلة الفضفاضة التي يرتديها الخليفة هارون الرشيد والأمير (لوحة رقم ٥) ، وفي أغطية

٥٨- أرمان (ادولف) ، ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة ، ترجمة و مراجعة عبد المنعم أبو بكر وعمر أنور شكري ، القاهرة ١٩٧٣م ، ص ١١٠، ١١١، ١١٢، والحقيقة أننا نجد تشابها كبيرا بين هذه الفكرة وفكرة روح العذراء التي تسكن أيقونتها ، وتهبط من السماء إلى كنيستها لتسعد نفسها بحماية المسيحيين .

[59] - Shepherd (D.G.) , Asixth -Century Coptic Tapestry Roundel – The Bulletin of the Cleveland Museum of Art,VOL . 35 , No . 4 (Apr. , 1948), PP 56 – 57 .

- ماهر (سعاد .) ، الفن القبطي ، ١٩٧٧م . ص ٢٩ .

- حندوسه (تحفه .) ، التراث الفرعوني في الفن القبطي ، بحث في كتاب الدور الوطني للكنيسة المصرية عبر العصور ، أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة ، الهيئة العامة للكتاب ، ص ١٠٥: ١١٠ .

- Puica (L . M .) , Biblical Elements in Coptic Icon . European Journal of Science and Theology , June2006 . VOL.2, No 2 , PP 37 – 50 .

٦٠- قادوس(عزت زكي حامد.)،الآثار القبطية والبيزنطية،الاسكندرية،٢٠٠٢،ص:ص ٩٨ : ١٠١.

٦١- الباشا(حسن .)،التصوير الإسلامي في العصور الوسطى،دار النهضة العربية،١٩٩٢م،ص ص ١٣٦، ١٣٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرؤوس العربية كالطرحة[٦٢] التي ترتديها السيدة العذراء والتي أضفت عليها مظهرا عربيا[٦٣] (لوحة رقم ٢) .

كما تتجلى هذه الأساليب في البعد عن الواقع في تمثيل الآدميين بأسلوب اصطلاحي بعيدا عن مراعاة النسب التشريحية (لوحات ١، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥)، وعدم مراعاة التناسب بين الأشخاص والعمائر (لوحات أرقام ٢، ٤)

كما تأثر المصور بالأساليب المملوكية والتي تعد بدورها أحد أساليب المدرسة العربية[٦٤] ويتجلى ذلك في رسم الوجوه كبيرة بالنسبة لحجم الجسد(لوحات أرقام١، ٥) وفي الجمود الشديد[٦٥] الذي يعتلي وجوه الأشخاص(لوحات أرقام١،٢،٣،٤،٥)ومحاولة كسرهذا الجمود بحركات الأيدي وإيماءات الوجوه(لوحات أرقام١،٢،٣،٤،٥) ، كما تظهر في الأوضاع المتكلفة التي يبدو عليها الأشخاص (لوحات أرقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) .

وتشاهد الأساليب المملوكية في رسم العناصر ذات الطراز المملوكي كالمشكاوات ذات القاعدة المرتفعة والبدن المنتفخ والرقاب المتسعة المنفرجة نحو الخارج[٦٦] ، والتي رسمت متدلية من السقف وفقا لصياغة مملوكية واضحة[٦٧] (لوحات أرقام ٢ ، ٣ ، ٥) .

٦٢- الطرحة : من أغطية الرؤوس الشائعة لدى النساء ، وقد تميز بعضها بالطول المبالغ فيه إذ كانت تصل في بعض الأحيان إلى القدمين .

Hughes (T.P) , Dictionary of Islam . New Jersey , 1965 -

٦٣- مثلت السيدة العذراء حول العالم بأساليب متعددة تشير إلى المكان الذي رسمت فيه كان من بينها الأسلوب العربي .

-Tavard (G..H)The Thousand Faces of the Virgin Mary. Michael Glazier book 1996.PP 32-48.

٦٤- أشارت اسن اتل إلى الأسلوب المملوكي في التصوير باعتباره المرحلة الثانية من مراحل الأسلوب العربي التقليدي (الكلاسيكي) ، كما اعتبرت أن أفضل نماذجه والتي أنجزت في العصر المملوكي البحري (١٢٥٠- ١٣٩٠م) تعتمد على الأسلوب الأول التقليدي .

-Atil (E.) , Mamluk Painting in the Late Fifteenth Century . Muqarnas , VOL. 2 , The Art of the Mamluks . (1984) , PP. 159- 171 . P159.

٦٥- الباشا (حسن.) ، التصوير الإسلامي . ص ١٧٨ .

- Haldane (D.) , Mamluk Painting . England. - 1978 . PP 13 , 22 .

٦٦- يعد هذا الشكل من أهم أشكال المشكاوات المملوكية ، وقد وصلنا من هذا الطراز عدد ضخم من المشكاوات المملوكية منها على سبيل المثال لا الحصر مجموعة بإسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأمراؤه مثل أرغون الناصري وسلار وعلاء الدين بكتمر وغيرهم .

داوود (مايسه محمود محمد محمد .) ، المشكاوات الزجاجية في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة ، ١٩٧١م، ص٨٧ ، لوحات أرقام ٥٨، ٦١ ، ٦٢ .

٦٧- الباشا (حسن.) ، التصوير الإسلامي ، أشكال أرقام ٧٣ ، ٨٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كذلك تظهر هذه الأساليب في تمثيل الأسرة بالأسلوب الذي رسمت به في المخطوطات التي ترجع للعصر المملوكي (لوحة رقم ٣) ،وهي الأسرة المنخفضة المصنوعة من جريد النخيل والتي استمرت حتى العصر العثماني[٦٨] .

٢ - الأساليب العثمانية : تظهر في صور هذا المخطوط بعض تقاليد التصوير العثماني المبكر التي تتجلى في رسم الأشخاص في صفوف ، وتميز الأشخاص الذين يقفون في صف واحد بتشابه الملامح والأزياء[٦٩] (لوحات أرقام ١ ، ٣) .

كما تظهر هذه التقاليد في رسم الآدميين بأسلوب اصطلاحي، ورسم الطيور بشكل أقرب إلى الواقع (لوحة رقم ٣)[٧٠] .

وتتجلى هذه الأساليب في الميل لاستخدام اللون الأحمر[٧١] والأخضر والأصفر بشكل كبير(لوحات أرقام ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥) ، حيث يميل الفنان في هذا العصر لاستخدام الألوان البراقة التي تضفي على الصورة من وجهة نظره نوع من الفخامة[٧٢] .

٦٨- يظهر هذا الطراز من الأسرة في صورة من مخطوط مقامات الحريري المحفوظ في المتحف البريطاني تحت رقم ٢٢١١٤ وتمثل أبو زيد طريح في فراش المرض .

- Haldane (D.) , Mamluk Painting. P 70. PL 28 .

وقد كانت الطبقات المتوسطة في مصر تنام على أسرة من جريد النخيل وتوضع عليها حشية ومخدة ليستريح عليها الرأس - وملاءة تفرش فوق الحشية ، أما في الطبقات العليا فكانت الأسرة تصفح بالذهب والفضة ، أو تصنع من العاج ، وقد وجدت الأسرة المنخفضة في العصر المملوكي وما بعده في القرون (١٠- ١٣هـ / ١٦- ١٩م) ، ونجد نماذج ملموسة لها في العصر العثماني بمتحف جاير اندرسون . الوكيل(فايزة محمود عبد الخالق)، جهاز العروس في مصر في عصر سلاطين المماليك دراسة أثرية فنية ، رسالة دكتوراة ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٨م ، ص ٤٠ .

٦٩- مرزوق (عاطف علي عبد الرحيم .) ، تصاوير المخطوطات العثمانية في الفترة المبكرة (٨٥٥-٩٢٦هـ/١٤٥١-١٥٢٠م).جامعة القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ص ٦٨ .

٧٠- الوكيل (فايزة محمود عبد الخالق .) ، دراسة أثرية لورقة من مخطوط أجبية محفوظ بمتحف طنطا من العصر العثماني ، مجلة كلية الآثار ، العدد الخامس ، ١٩٩١م ، ص ٢٦١ .

٧١- شاع استخدام اللون الأحمر في المخطوطات العثمانية بشكل كبير لارتباطة بصفة خاصة بزهرة اللاله المفضلة عند العثمانيين، كما يحمل هذا اللون تأثرا عقائديا وبعض المعاني الرمزية ، حيث يرتبط بالقوة والنصر .عبد الدايم (نادر محمود محمد) ، التأثيرات العقائدية في الفن العثماني ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ١٠٠ .

٧٢- المهر (رجب سيد أحمد .) ، تصاوير المخطوطات العثمانية في القرن (١٠هـ / ١٦م) في ضوء مجموعة دار الكتب المصرية ، رسالة دكتوراة ، جامعة القاهرة ٢٠٠٣ ، ص ٤١٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما تشاهد في هذا المخطوط بعض العناصر ذات الطراز العثماني ، كالأعلام العثمانية التي تستدق رايتها كلما اتجهت صوب الجهة المرفرفة[٧٣] (لوحة رقم ١) ، وغطاء رأس الانكشارية الذي يتميز به التصوير العثماني (لوحات أرقام١ ،٣) .
وأخيرا يبدو أثر هذه الأساليب في استخدام العقد الناقص (عقد بورصة)[٧٤] الذي كان شائعا في صور المخطوطات العثمانية (لوحة رقم ٤) .

٣ - الأساليب المصرية المحلية القديمة :

وهي الأساليب الفنية المحلية التي ورثها الفنان القبطي وأضاف إليها من شخصيته[٧٥] ويظهر أثر هذه الأساليب في رسم السحنة ذات الوجه المستدير ، والعيون اللوزية الواسعة التي يختص بها سكان حوض البحر المتوسط[٧٦]،وتمثيل الأنف على هيئة خط رأسي طويل ينتهي بما يشبه المثلث [٧٧] (لوحات أرقام ١ ، ٣ ، ٤) .

٧٣- كانت للأعلام العثمانية ألوان مختلفة ولكن كان لها شكل خارجي واحد ينتهي بطرف مرفرف مثلث الشكل ، للاطلاع على نماذج من أشكال الأعلام العثمانية راجع :
- Aurgal (E.) , L' art En Turquie . Ankara . 1979. PL 178 . 179 .
- ياسين (عبد الناصر محمد حسن .) ، الأعلام في العصر الإسلامي ، أنواعها ، صفاتها ، خصائصها . مجلة العصور المجلد الثالث عشر ، ٢٠٠٣ ، ص ص ٤٥ ، ٤٦ .
- بدر (منى .) ، الأعلام العثمانية منذ ظهور الإسلام وحتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) بالتطبيق على صور المخطوطات الإسلامية . مجلة كلية الآداب ، جامعة جنوب الوادي ، العدد السادس ، الجزء الأول ١٩٩٦م .

٧٤- العقد الناقص : عبارة عن عقد ضخم ذي وركين ينتهي من أعلى بمعبرة وفي بعض الأحيان بمعبرة وقمة مدببة ، ويتميز هذا العقد بأرجله الطويلة التي تنتهي بكرادي ، وقد أطلق جدوين على هذا العقد اسم بورصة نظرا لظهوره في العمارة العثمانية للمرة الأولى في عمائر هذة المدينة ، بينما نرى أوقطاي آصلان آبا يعرف هذا العقد باسم (العقد الناقص) وذكر أن هذا العقد قد ارتبط بصورة أوضح بمدينة بورصة ، حيث صار أكثر شيوعا وانتشارا على يد العثمانيين منه على يد السلاجقة .
خليفة (ربيع حامد .) ، العناصر المعمارية ودورها في مجال زخرفة الفنون التطبيقية ، مجلة كلية الآثار ، العدد السادس ، ١٩٩٥م ص ص ٨٠ ، ٨٢ .

[75] - Badawy (A.) , Coptic Art and Architecture Journal of Near Eastern Studies , VOL , 41 , . No . 4 (oct.,1982), PP.304-305.

٧٦- فرغلي (أبو الحمد محمود .) ، الخصائص الفنية لمدرسة التصوير المحلية في مصر في العصر العثماني (٩٢٣- ١٢٢٠/ ١٥١٧- ١٨٠٥ م) ، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٣٨ ، ١٩٩١- ١٩٩٥م .

- Hondelink (H.) Coptic Art and Culture . Cairo . 1990 . PLS . 4.2 , 4.3 , 4.4 , 4.5 .
[77] - Badawy (A.) , Les Influences Egyptienne d'art Copte Le Caire . 1949 – P l02 . .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما يتجلى الطابع المحلي المصري في الميل إلى الروح الشعبية وذلك في التناول المباشر لموضوع الصورة والاقتصار على الأساسيات دون الإغراق في التفاصيل[٧٨] (لوحات أرقام ١ ، ٣ ، ٤) .

٤ - أثر العقيدة المسيحية :

يتجلى أثر العقيدة المسيحية في اختيار موضوع المخطوط بوجه عام ، واستخدام الرمزية للتعبير عنه(لوحة رقم ٣) ، كما يظهر في الاهتمام برسم الكنائس وعناصرها المميزه كالمذابح والصلبان والأيقونات (لوحة رقم ٢) .

- تاريخ المخطوط:

على الرغم من عدم اشتمال هذا المخطوط على تاريخ يشير إلى الفترة التي أنجز فيها، إلا أنه يمكننا نسبته إلى مصر في العصر العثماني اعتمادا على العديد من الشواهد التي يظهر من بينها :

- ظهور أحد أغطية رؤوس فرقة الانكشارية (لوحات أرقام١ ،٣) ، ولا يخفى علينا أن هذا الغطاء لم يظهر إلا في الدولة العثمانية[٧٩] وكان الجنود الانكشارية يرتدونه تمييزا لهم عن غيرهم[٨٠] .
- تظهر أحد الملامح العثمانية في بعض الصور، وتتمثل في الشارب الرفيع المفتول[٨١] (لوحات أرقام ١ ، ٣) .
- ظهور الأعلام ذات الطراز العثماني الذي تستدق رايتها كلما اتجهت صوب الجهة المرفرفة والتي تنتهي بشكل مثلث (لوحة رقم ١) .
- استخدام الفنان للون الأحمر بشكل واضح (لوحات أرقام ١ ،٤) .

٧٨- فرغلي (أبو الحمد محمود .) ، الخصائص الفنية ، ص ١٩٩٩م .

٧٩- مرزوق(عاطف على عبد الرحيم) ، تصاوير المخطوطات العثمانية في الفترة المبكرة (٨٥٥-٩٢٦هـ/١٤٥١-١٥٢٠م) رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ٢٠٠٤ م ، ص ٦٨ .

٨٠- كانت أزياء الانكشارية هي الأساس في التفريق بين الرتب وتمييز أصحابها عن بعض بأشكال القلانس (القاووق) أو الأقبية(القفاطين) أو الأحزمة (الكمر)، أما ألوانها فكان لكل طائفة من رجال الدولة قلنسوة شكلها خاص بهم وألوان خاصة بها ، الغازي (أماني بنت جعفر بن صالح) ، دور الانكشارية... ص ٨٥.

-سلطان(علي)،تاريخ الدولة العثمانية،منشورات من مكتبة طرابلس العلمية العالمية،بدون تاريخ،ص١٦٨ .

- المصري (حسين مجيب) ، الأدب التركي ، سلسلة كتابك ، دار المعارف ، ١٩٧٨م ، ص ٥٦.

٨١- خليفة (ربيع حامد .)،مدارس التصوير الإسلامي في إيران وتركيا والهند من القرن ٩هـ - ١٥م وحتى القرن ١٣هـ-١٩م، الطبعة الأولى ٢٠٠٧، م ، لوحة رقم ٩٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبالإضافة إلى ما تقدم يمكننا نسبته إلى مصر في العصر العثماني[٨٢] لتطابق الأساليب الفنية لصوره مع صور المخطوطات التي أنجزت في مصر في هذا العصر ويظهر ذلك في :

- تشابه ملامح الأشخاص في هذا المخطوط (لوحات أرقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) مع ملامح الأشخاص في كثير من المخطوطات العثمانية التي أنجزت في مصر في العهد العثماني ، ومنها على سبيل المثال الملامح في مخطوط سفر الرؤيا (مختصر رؤيا يوحنا الإنجيلي) الذي يرجع الي مصر سنة ١٧٤١م ، والمحفوظ في المتحف القبطي بالقاهرة تحت رقم (لاهوت ٣٥٠)[٨٣] .

- التعبير عن الكنيسة (لوحة رقم ٢) بنفس الأسلوب الذي عبر به المصور عنها في صورة من مخطوط ميامر العذراء الذي نفذ في مصر سنة ١٦٨٧م وتمثل الكنيسة التي بنيت على قبر العذراء[٨٤] من حيث البساطة التي رسمت بها الصورة والتقسيم الثلاثي للعمارة ، والمشكاوات المتدلية من السقف ، والمذبح الذي رسم في الصورتين على هيئة بناء مستطيل مغطى بغطاء أحمر اللون مقسم إلى أربعة مساحات عن طريق صليب كبير رسم في منتصفه ، وقد زخرفت هذه المساحات بأربع صلبان صغيرة .

- يكاد يتطابق طراز السرير المصنوع من جريد النخيل و طريقة جلوس الأمير عليه (لوحة رقم ٣) مع صورة من مخطوط ميامر العذراء السابق ذكره وتمثل ميلاد السيدة مريم[٨٥] (لوحة رقم ٦) ، حيث يظهر الأمير ، وكذلك السيدة حنا والدة العذراء مستندين بجزعهما على مخدة فوق سرير منخفض من جريد النخيل .

- يكاد يتطابق الوضع الذي يبدو عليه هارون الرشيد والأمير (لوحة رقم ٥) مع الأوضاع التي رسمت بها الأشخاص في كثير من صور مخطوط قانون الدنيا وعجائبها الذي أنجز في مصر سنة ١٥٦٣م ، ومن بينها صورة تمثل القطبان قطب

٨٢- تختلف مدرسة التصوير العثماني في مصر مع المدرسة المعاصرة لها في تركيا من حيث الأساليب الفنية ، كما تختلف عنها في الاتقان والجودة ، بسبب وجود رعاة الفن العظام من سلاطين وأمراء في تركيا، والذين نفذت برعايتهم روائع المخطوطات التركية العثمانية .

- Tanindi (z.) , Additions to Illustrated Manuscripts in Ottoman workshops . Muqarnas , VOL . 17, (2000) PP. 147-161.

٨٣- فرغلي (أبو الحمد محمود) ، الخصائص الفنية ، لوحة رقم ٩ .

٨٤- محمود (أسماء حسين عبد الرحيم) ، مدرسة التصوير في مصر في العهد العثماني من خلال تصاوير المخطوطات (٩٢٣- ١٢٢٠هـ/ ١٥١٧- ١٨٠٥ م) ، رسالة دكتوراة ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٨م ، لوحة رقم ٢٤٠.

٨٥- محمود (أسماء حسين عبد الرحيم) ، مدرسة التصوير في مصر ، لوحة رقم ٢٣٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدين وفخر الدين (لوحة رقم ٧)[٨٦]، وذلك من حيث الوضع المتكلف ، وعدم قدرة المصورعلى التعبير عن تواجه الأشخاص .

كما نلاحظ زخرفة ملابس هارون الرشيد والأمير بما يشبه أنصاف المراوح النخيلية[٨٧] (لوحة رقم ٥) وهو العنصر الذي زخرفت به كثير من الملابس في صور مخطوط قانون الدنيا ، ومنها على سبيل المثال صورة تمثل مجموعة من الحكماء (لوحة رقم ٨) [٨٨]

النتائج :

وبعد فقد أمكن من خلال هذه الدراسة نسبة هذا المخطوط إلى مصر في العصر العثماني ، وتحديدا إلى نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر الميلاديين ، لتطابق أسلوبه مع الأساليب الفنية للمخطوطات التي أنجزت في مصر في هذه الفترة ، كمخطوط ميامر العذراء وعجائبها الذي يرجع الي سنة ١٦٨٧م والمحفوظ في المتحف القبطي تحت رقم (تاريخ ٤٧٧) ، ومخطوط البشائر الأربعة(مصر سنة ١٦٨٩م)والذي يحتفظ به نفس المتحف تحت رقم(مقدسة ٩٩)، وكذلك تطابقه مع الأساليب الفنية لمخطوط سفر الرؤيا والذي أنجز أيضا في مصر سنة ١٧٤١م ، ويحتفظ به المتحف القبطي تحت رقم (لاهوت٣٥٠) . وتتميز جميع هذه المخطوطات باستخدام الألوان البراقة ، ووضوح الطابع المحلي الشعبي ، والمبالغة في استخدام الطابع الزخرفي ، والاقتصار على رسم الموضوع بأقل عدد من العناصر، وهي الخصائص التي اعتبرت إطارا عاما للتصوير في مصر العثمانية.

٨٦- محمود (أسماء حسين عبد الرحيم) ، مدرسة التصوير في مصر ، لوحة رقم ٥٧ .

٨٧- شاع استخدام المراوح النخيلية وأنصافها بصورة كبيرة ضمن زخارف التحف الخشبية القبطية حيث كانت قاسما مشتركا أعظم بين هذه الزخارف .

البلتاجي (سامية محمد عطية) ، دراسة فنية لمجموعة الأخشاب في الكنائس والأديرة المصرية من القرن ٥هـ حتى القرن ٦هـ / ١٢م ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص ٤٥٥ .

لمزيد من المعلومات عن هذا العنصر راجع :

- بدر (مصطفى) ، النخيل وأشباة النخيل ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م ، ص:ص ٥ :١٠ .

٨٨- عكاشة (ثروت) ، التصوير الإسلامي الديني والعربي . الطبعة الأولى ، ١٩٧٧م ، ص ٤٦٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهرس اللوحات

- لوحة رقم (١) الأمير جـــالس ليستريح . صورة من مخطــوط ميــامر العــذراء وعجائبها . الدار البـــطريركية بالقاهرة. تحت رقم (تاريخ٣٤)
- لوحة رقم (٢) القس يوحنا في الكنيسة أمام أيقونة السيدة مرتمريم . صــورة مــن المخطوط السابق .
- لوحة رقم (٣) الأمير في خيمته والطائر يحضر له مكتوب الخليفة . صورة مــن المخطوط السابق .
- لوحة رقم (٤) الأمير يتحدث إلى القس يوحنا . صورة من المخطوط السابق .
- لوحة رقم (٥) اجتماع الخليفة بالأمير في قصره ببغداد . صورة مــن المخطــوط السابق .
- لوحة رقم (٦) ميلاد السيدة مريم . صورة من مخطوط ميامر العذراء . المتحــف القبطي بالقاهرة تحت رقم(تاريخ ٤٧٧) . مصر (١٦٨٧م) .
- لوحة رقم (٧) القطبان قطب الدين وفخر الدين . صورة من مخطوط قــانون الــدنيا وعجائبها . طوبقابي سراي في استانبول . مصر (١٥٦٣ م) .
- لوحة رقم (٨) مجموعة من الحكماء . صورة من المخطوط السابق .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لوحة رقم (١) الأمير جالس ليستريح . صورة من مخطوط ميامر العذراء وعجائبها. الدار البطريركيه بالقاهرة .تحت رقم (تاريخ ٣٤)

لوحة رقم (٢) القس يوحنا في الكنيسة أمام أيقونة السيدة مرتمريم . لوحة من المخطوط السابق .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لوحة رقم (٣) الأمير في خيمته ، والطائر يحضر له مكتوب الخليفة .
لوحة من المخطوط السابق

لوحة رقم (٤) الأمير يتحدث إلى القس يوحنا .
لوحة من المخطوط السابق .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لوحة رقم (٥) اجتماع الخليفة بالأمير في قصره ببغداد .
لوحة من المخطوط السابق .

لوحة رقم (٦) ميلاد السيدة مريم . صورة من مخطوط ميامر العذراء . المتحف القبطي بالقاهرة تحت رقم (تاريخ ٤٧٧) . مصر سنة ١٦٨٧ م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لوحة رقم (٧) القطبان قطب الدين وفخر الدين . صورة من مخطوط قانون الدنيا وعجائبها . طوبقا بي سراي في استانبول . مصر سنة ١٥٦٣م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ملخـــــص

حادثة أتريب في التصوير العثماني من خلال مخطوط محفوظ بالدار البطريركية بالقاهرة

ساهمت المعجزات التي تؤمن بها الكنيسة المصرية في تشكيل بعض خصائص التصوير في العهد العثماني ، حيث اهتم المصور المسيحي في هذا العهد اهتماما بالغا بتزويق العديد من المخطوطات الدينية التي تحوى كثير من معجزات السيد المسيح عليه السلام والسيدة العذراء وأنبياء العهد القديم ، بالإضافة الى معجزات القديسين بدافع تفسير العقيدة وايضاحها بشكل يسير .

وتعد حادثة أتريب أحد هذة المعجزات أو الحوادث الشهيرة في تاريخ ووعى الكنيسة المصرية التي تنسب للسيدة العذراء قوى خارقة تحتفي بها الكنيسة عبر العصور بسبب مادتها الملهبة للمشاعر ، وأحداثها المثيرة للخيال .

وترتبط هذه الحادثة كما يتضح من اسمها بمدينة أتريب ، تلك المدينة التاريخية التي اشتهرت منذ أقدم العصور الفرعونية وحتى عهد أسرة محمد علي .

ويلقي البحث الضوء على تاريخ هذه المدينة ، وأقوال المؤرخين عنها ، ويتناول حادثة أتريب ، ويشير إلى كنيستها التي كان لها دورا بارزا في مسار هذه الحادثة ، كما يهتم في الأساس بإبراز خصائص التصوير التي تظهر في صور هذا المخطوط والتي تعد بدورها أبرز خصائص التصوير في مصر العثمانية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Summary

Atreeb's Incident in the Ottoman Panting in a Manuscripts Preseved in the Dar patriarchate In Cairo

The Miracles, that the Egyptian Church believes in, contribute in forming some of the painting characteristics in the Ottoman period. The Christian Painter in that period was greatly interested in decorating many religious manuscripts that contain many miracles of the Christ (Peace be upon him) and The Virgin Many and the prophets of the Old Testament besides the miracles of the preists with the aim of explaining and illustrating their faith in a simple way.

This event was one of the most famous extraordinary events that was attributed to the virgin marry and was celebrated by the church through the ages due to its effects that flame the feelings and arouse imagination .

This research sheds lights on the history of this city and on the historians talk.It also points to the church that had the important part in this event.

The research focuses on the characteristics of the paintings that appear in the Paintings of these manuscripts which are considered the most distinguished characteristics in the Ottoman Egypt.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com